DIRASAT QUR'ANIYYAH WA HADITHIYYAH
Vol. 1, Issue. 1, January 2026

مراجعة منهجية تراثية للشبهات حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

A Systematic Turath Review of Objections to the Scientific Miracles of the Qur'an

Abdalla Ali Morshed Mohammad Thah*[1] Yousef Mohammed Abdo Mohammed Al-Awadhy[2]

Al-Madinah International University, Kuala Lumpur, Malaysia [1 2]

**Corresponding Author: abdalluhali2011@gmail.com*

Submitted : 25 December 2025	*Revision : 19 January 2025*	*Accepted : 7 February 2026*

Abstract

This research examines major doubts and criticisms raised by secularists and modernists concerning the scientific miracles of the Qur'an. It offers a systematic, evidence-based response grounded in principles of Islamic scholarship and sound interpretation. Using an analytical and critical approach, the study classifies these objections, distinguishes between established scientific facts and speculative theories, and differentiates valid interpretations from unfounded claims. The findings reveal that secularist objections stem from a worldview separating religion from knowledge, aiming to marginalize the Qur'an's authority, while modernist critiques arise from Western frameworks that view the Qur'an as a mutable human text. The study clarifies that scientific miracles do not render the Qur'an a scientific textbook but highlight signs of its divine origin and harmony with universal truths. It concludes that scholarly caution targets excess, not rejection, and affirms scientific miracles as a means of da'wah and strengthening faith.

Keywords: Scientific Miracles of the Qur'an; Intellectual Objections; Ulama' Responses; Scientific Interpretation; Systematic Turath Approach

ملخص

يتناول هذا البحث أبرز الشبهات والانتقادات التي يثيرها العلمانيون والحداثيون حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ويقدّم ردودًا منهجية قائمة على الأدلة، مستندة إلى أصول العلوم الشرعية وقواعد التفسير المعتبرة. ويعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي في تصنيف هذه الشبهات وتقويمها، مع التمييز بين الحقائق العلمية الثابتة والنظريات الافتراضية، وبين التفسيرات الصحيحة والتأويلات غير المنضبطة. وتبيّن نتائج الدراسة أن الشبهات العلمانية تنطلق من فلسفة تفصل الدين عن الحياة والمعرفة، وتسعى إلى تحييد سلطة القرآن عن الواقع، في حين تنبع الطروحات الحداثية من أطر فكرية غربية تتعامل مع القرآن بوصفه نصًا بشريًا قابلًا للتغيير وإعادة القراءة. كما يوضح البحث أن الإعجاز العلمي لا يعني أن القرآن كتاب علوم تجريبية، بل يتضمن إشارات علمية تؤكد مصدره الإلهي وانسجامه مع سنن الكون. ويخلص البحث إلى أن تحذير العلماء المتقدمين من التوسع في التأويل كان مقصدُه الضبط المنهجي لا الرفض، وأن الإعجاز العلمي يظل وسيلة فعّالة للدعوة وتعزيز الإيمان بالوحي الإلهي.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الشبهات الفكرية، ردود العلماء، التفسير العلمي، المنهجية التراثية

Creative Commons Attribution-ShareAlikeBY-SA: This work is licensed under a Contemporary Quran Creative Commons Attribution-ShareAlike 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/). If you remix, transform, or build upon the material, you must contributions under the same license as the original

INTRODUCTION ﴿مقدمة﴾

يعد القرأن الكريم معجزة خالدة تتحدى العقول والأزمنة والأمكنة، وقد أثار اهتمام العلماء والدعاة إلى الله تعالى، على مر العصور السابقة. ومن أبرز جوانب هذا الإعجاز الذي أشتهر في هذا العصر ما عرف "بالإعجاز العلمي"، حيث يتضمن القرأن العظيم حقائق علمية مذهلة وصفت بدقة متناهية بعض ما استطاع العلم الحديث التوصل إليه في هذا القرأن.

إن الكلام عن الإعجاز العلمي في القرءان الكريم يفتح أبوابا للنقاش والحوار، والأخذ والرد، حيث يواجه هذا المفهوم مجموعة من الشُّبَه والانتقادات من قِبل بعض المشككين من المتربصين بالإسلام أو الجهال، وتتراوح هذه الشُّبَه بين تفسير الآيات القرءانية تفسيرا بعيدا عن المراد منه أو ما يغير المعنى، وبين القول إن هذه الحقائق العلمية كانت مجرد صدف أو نتاج تأويلات متأخرة، ولا شك دراسة الإعجاز العلمي في القرءان الكريم لا تقتصر على كونها مجرد بحث جامعي، بل تتجاوز ذلك لتصل إلى صميم القضايا التي تشغل العقول العلمية المعاصرة، ففي ظل التحديات الفكرية والعقلية التي تواجهها العالم في هذا العصر، كالصراع بين الدين والعلم، وتأثير الأفكار المادية الغالبة، يتدخل الإعجاز العلمي ليؤكد على وحدة المعرفة، ويبرز التكامل بين الإيمان والعقل.

وفي هذا المبحث ردود مقنعة إن شاء الله، وتسليط الضوء على أثر هذه الشبه سواء على مستوى الفرد أو المجتمع. إن الرد على هذه الشبه وغيرها مساهمة في تعميق فهم الناس لكتاب الله تعالى، وزيادة من إيماننا بصدقه وعظمته، كما أنها ستساعد على مواجهة التحديات الفكرية العميقة التي تواجهنا في عصرنا الحالي.

Method ﴿منهجية البحث﴾

يعتمد هذا البحث على المنهج الكيفي ذي الطابع التحليلي النقدي، وهو من نوع الدراسة المكتبية،باستخدام أسلوب المراجعة المنهجية للتراث العلمي، من خلال دراسة النصوص القرآنية المتعلقة بالإعجازالعلمي، وتحليل الشبهات المثارة حولها، مع تقويم الردود العلمية الواردة في المصادر التفسيرية والفكرية المعتبرة. ويستند البحث في بياناته إلى المصادر الأولية المتمثلة في القرآن الكريم وكتب التفسير المعتمدة، إضافة إلى المصادر الثانوية من الكتب التراثية والمعاصرة، والدراسات الأكاديمية، والمقالات العلمية المحكمة ذات الصلة بموضوع البحث.

أما تقنية تحليل البيانات فتتم من خلال تصنيف الشبهات المتعلقة بالإعجاز العلمي، وتحليل خلفياتها الفكرية والفلسفية، مع التمييز بين الحقائق العلمية الثابتة والنظريات الظنية، وبين التفسير المنضبط والتأويل غير المعتبر. ويهدف هذا التحليل إلى الوصول إلى نتائج علمية تسهم في بيان حقيقة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وتعزيز منهجية التعامل معه في ضوء أصول التفسير وقواعد البحث العلمي.

RESULTS AND DISCUSSION ﴿نتائج البحث ومناقشتها﴾

شبهات العلمانيين والرد عليها

في قراءة لما كتبه العلمانيون، أردت به معرفة أوجه القصور أو الأخطاء الواردة في الإعجاز العلمي في القرءان الكريم ، وذلك لتقويمه، فما وجد إلا شبهات يذكرونها يريدون بذلك الاستنقاص من الإعجاز العلمي في القرءان

الكريم، لكنهم لم يخفون في سطور كتاباتهم العداء للإسلام بشكل عام، والقرءان بشكل خاص، وهذا حقيقة من رضعوا من مدارس الغرب، وقد أوردوا بعض الأخطاء الشائعة التي وقع فيها بعض من ولجوا باب الإعجاز العلمي، ولم يكونوا على اطلاع كامل بهذا العلم، أو ليسوا من أهله، ورغم ذلك سأورد أهم الشبهات التي ذكروها، ثم تفند بعون من الله تعالى، وأما الأخطاء ستذكر في فصل آخر من هذا البحث.

وقبل ذكر الشبهات ينبغي معرفة منطلق العلمانية في الشبهات التي أوردوها على الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فالعلمانية من حيث الأصل قائمة على فصل الدين عن الحياة العامة؛ فهم يرون أن القرآن الكريم كتاب روحي وليس له علاقة بنظم الحياة العامة، كما ينكرون سلطة الشريعة الإسلامية على العلم والسياسة والاقتصاد والقوانين الوضعية.

وغايتهم في الشبهات:

أ - تحييد القرآن الكريم عن الواقع العملي، والاكتفاء به كقيمة ثقافية أو تراث أدبي.
ب - وإقصاء الشريعة الاسلامية من توجيه الحياة العامة تحت مسميات وهمية كالتنوير والتقدم.

وأهم هذه الشبهات كالآتي:

القرءان الكريم معجز في نظمه، وبيانه فقط، وقد تحدى الله به أهل ذاك الزمان من العرب الفصحاء. القرءان الكريم أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، هداية، وإرشاد لأمته، لا كتاب للعلوم كالكيمياء، والفيزياء، والرياضيات، وغيرها. القرءان الكريم ثابت، أما العلوم التجريبية متغيرة في نظرياتها، وقواعدها، وقوانينها، فلا يصح تفسير القرءان الكريم بالمعطيات العلمية الحديثة، فيكون العلم التجريبي حجة على القرءان الكريم. معطيات بعض العلوم التجريبية قد تختلف مع عدد من الآيات الثابتة في القرءان الكريم، وذلك أن منطلقات العلوم التجريبية مادية، وتنكر حقائق الغيب الخفية، أو تتجاهلها.

ظهور الإعجاز العلمي في القرءان الكريم، يرجع إلى عقدة النقص التي يشعر بها المسلمون، نتيجة تخلفهم. عندما اكتشف علماء العلم الحديث الحقائق العلمية، لم يؤمنوا بما في القرءان الكريم .الإعجاز العلمي في القرءان الكريم شيء والإيمان بالقرءان الكريم ككتاب مقدس من مصدر إلهي شيء مختلف، وهما ليسا متلازمين، فالمسلم ليس بحاجة إلى الإعجاز العلمي كي يكون مسلما صالحا. إن لكل علم ثمرة في الحياة، وبعد مرور نصف قرن ماذا جنى المسلمون من وجود الإعجاز العلمي؟

دعوى ارتباط القرآن الكريم بالعلم، موجود في كل العقائد السابقة، وليست حكرا على الإسلام، والقرءان على وجه الخصوص. العلم المنسوب في القرءان الكريم، محصور في علم الفقه، أو التفقه في الدين .متوكلين على الله عزوجل نفند شبهات العلمانيين والحداثيين.

الشبهة الأولى:

القرءان الكريم معجز في نظمه، وبيانه فقط، وقد تحدى الله تعالى به أهل ذاك الزمان من العرب الفصحاء.

فقولهم: أن القرءان الكريم معجز في نظمه، وبيانه. فهذا أمر مسلمٌ به، ومجمع عليه عند علماء المسلمين، وصدق الله، إذ يقول: اَللّٰهُ نَزَّلَ اَحْسَنَ الْحَدِيْثِ كِتٰبًا مُّتَشَابِهًا ... ﴿٢٣﴾ ﴿سورة الزمر﴾، قال ابن كثير رحمه الله: "هذا مدح من الله عز وجل لكتابه القرءان العظيم المنزل على رسوله الكريم"، وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: "ومن تدبر القرءان وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونا ظاهرة وخفية من حيث اللفظ ومن جهة المعنى"[1]، قال الله تعالى: الٓرٰ ۚ كِتٰبٌ اُحْكِمَتْ اٰيٰتُهٗ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَّدُنْ حَكِيْمٍ خَبِيْرٍ ﴿١﴾ ﴿سورة هود﴾ "فأحكمت ألفاظه وفصلت معانيه"[2].

فيكفي شهادة الله تعالى لكتابه بأنه أحسن التنزيل، وأن الله تحداهم بأن يأتوا بمثله، فإن لم يقدروا! فأقل من ذلك، أن يأتوا بسورة، فإن لم يقدروا! فبآية، فإن عجزوا فليشهدوا بأنه من عند لله، فيُسلموا ويَسلموا.

وأما قولهم: معجز في نظمه، وبيانه، وبلاغته فقط. فلا يمكن قبول هذا القول، وذلك أن القرءان الكريم ذكر آيات لها ملامح علمية، لا يمكن لأهل الفصاحة، والبلاغة في زمن نزول القرءان الكريم تفسيرها بشكل أوضح، إلا إذا اجتمع تفسيرها مع ما توصل إليه العلم التجريبي في هذا الزمن، وكلما زاد العلم التجريبي زاد معرفتنا بتفاصيل هذه الآيات، بشكل لا يمكن معرفتها في زمن نزول الآيات، ومن تلك الآيات الكريمة قول الله تعالى: يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوْا لَهٗ ۗ اِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ لَنْ يَّخْلُقُوْا ذُبَابًا وَّلَوِ اجْتَمَعُوْا لَهٗ ۗ وَاِنْ يَّسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنْقِذُوْهُ مِنْهُ ۗ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوْبُ ﴿٧٣﴾ ﴿سورة الحج﴾، قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: "لن يقدروا أن يخلقوا ذبابا {ولو اجتمعوا له} لو اجتمع العابد والمعبود ما قدروا أن يخلقوا ذبابا {وإن يسلبهم} يأخذ {الذباب} من الآلهة {شيئا} مما لطخوا عليها من العسل {لا يستنقذوا منه} لا يستجيروه ولا يخلصوه من الذباب يعني الآلهة {ضعف الطالب} يعني الصنم {والمطلوب} الذباب ويقال ضعف الطالب العابد والمطلوب المعبود".[3]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "الطالب الصنم والمطلوب الذباب واختاره ابن جرير وهو ظاهر السياق، وقال السدي وغيره: "الطالب العابد والمطلوب الصنم".[4] فهذا فهم كبار الصحابة للآية، أنه تحدي للمشركين بخلق ذباب واحد!.

فهل يقال إن التحدي كان لخلق صنم على شكل ذباب؟ أم أن التحدي كان على صنع هيئة الذباب الصغير، صنمًا لا حركة فيه؟ بكل تأكيد سيكون الجواب: لا.

وهنا يظهر أن التحدي من الله تعالى للمشركين، وغيرهم من المشككين على خلق ذباب بكامل وظائفه، له جناحان يطير بهما، ويتكاثر، ويستطيع البحث عن طعامه، وشرابه، ويعرف كيف يسلب البشر طعامهم، دون أن يستطيعوا أخذ ما سلبه الذباب منهم، ولا يمكن القول بأن التحدي كأن في الهيئة الخارجية، أو الحجم، لأن المشركون كانوا يحسنون هذا الصنعة، فنبي الله عيسى عليه السلام، كان معجزته خلق طير من العدم، بكل

1 ابن كثير، تفسير القرءان العظيم، ط1، ج7، ص83.

2 ابن كثير، تفسير القرءان العظيم، ط1، ج1، ص108.

3 ابن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ج1، ص284.

4 ابن كثير، تفسير القرءان العظيم، ط-أخرى، ج10، ص98.

وظائفه، وهيئته، يطير ويتكاثر، حاله حال الطيور. قال الله تعالى عن معجزة عيسى عليه السلام: قَالَ تَعَالَى : وَرَسُوْلًا اِلٰى بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ ۙ اَنِّيْ قَدْ جِئْتُكُمْ بِاٰيَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ ۙ اَنِّيْٓ اَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّيْنِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ فَاَنْفُخُ فِيْهِ فَيَكُوْنُ طَيْرًاۢ بِاِذْنِ اللّٰهِ ۚ وَاُبْرِئُ الْاَكْمَهَ وَالْاَبْرَصَ وَاُحْيِ الْمَوْتٰى بِاِذْنِ اللّٰهِ ۚ وَاُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَاْكُلُوْنَ وَمَا تَدَّخِرُوْنَ ۙ فِيْ بُيُوْتِكُمْ ۗ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيَةً لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ۚ ﴿٤٩﴾ ﴿سورة آل عمران﴾. فهذا الطير المعجز على يد سيدنا عيسى عليه السلام، كامل الأوصاف، مكتمل الوظائف.

وبعد النظر في هذه المعاني يتبين أن القرءان الكريم ليس معجز في لفظه، ونظمه، وبلاغته فقط! بل هو معجز في كل نواحيه مما ظهر للأولين، ومما سيظهر للاحقين.

ويمكن القول لهؤلاء: إن كنتم مؤمنين بمعجزة القرءان الكريم في نظمه، وبيانه، وبلاغته فيكفي أن ترى معجزة القرءان الكريم، الذي يأخذ بالألباب إلى الإيمان أنه ليس بكلام بشر، وأنه فوق طاقة البشر في نظمه، وبيانه، وبلاغته! أفلا يكون فوق طاقتهم العلمية البسيطة؟. ويمكن وضع سؤال لهؤلاء: إذا كان الكلام بديع، بليغ، معجز! فما قيمته إذا احتوى على كلام غير مفهوم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم كلها؟. إن لغة القرن الرابع عشر للهجرة الموافق للقرن العشرين للميلاد لغة العلم التجريبي، الذي علا صوته، وانبهر الناس به لقوة ما ظهر للبشر من عجز سابق للوصول إلى هذا العلم، لجدير بأن يوافق الكلام المنزل من العليم الخبير.

الشبهة الثانية:

القرءان الكريم أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، هداية، وإرشاد لأمته، لا كتاب للعلوم كالكيمياء، والفيزياء، والرياضيات، وغيرها.

فيجاب على قولهم: أن القرءان الكريم أنزله الله عزوجل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. فهذا كلام مسلم به بيننا وبينكم، لأن الله عزوجل قال: وَالَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَآ اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ وَبِالْاٰخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُوْنَ ۗ ﴿٤﴾ ﴿سورة البقرة﴾. {بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني القرءان.﴿5﴾

وقال عز وجل: لٰكِنِ الرّٰسِخُوْنَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَآ اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيْمِيْنَ الصَّلٰوةَ وَالْمُؤْتُوْنَ الزَّكٰوةَ وَالْمُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ ۗ اُولٰٓئِكَ سَنُؤْتِيْهِمْ اَجْرًا عَظِيْمًا ۗ ﴿١٦٢﴾ ﴿سورة النساء﴾ يعني: "والمؤمنون بالله ورسله، هم يؤمنون بالقرءان الذي أنزل الله إليك، يا محمد".﴿6﴾، وقال تعالى: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْٓ اَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهِ الْكِتٰبَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهٗ عِوَجًا ۗ ﴿١﴾ ﴿سورة الكهف﴾ "علم الله جل وعلا عباده في أول هذه السورة الكريمة أن يحمدوه على أعظم نعمة أنعمها عليهم وهي إنزاله على نبينا صلى الله عليه وسلم هذا القرءان العظيم".﴿7﴾ فهذه الآيات تدل على نزول القرءان من عند الله تعالى، على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

وقولهم: أن القرءان للهداية، والإرشاد. فهذا القول كذلك لا خلاف فيه، ومتفق عليه بين جميع المسلمين، لقوله: وَلَوْ جَعَلْنٰهُ قُرْاٰنًا اَعْجَمِيًّا لَّقَالُوْا لَوْلَا فُصِّلَتْ اٰيٰتُهٗ ۗ ءَاَعْجَمِيٌّ وَّعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا هُدًى وَّشِفَآءٌ ۗ وَالَّذِيْنَ

5 القرطبي، الجامع لأحكام القرءان، ط- أخرى، ج1، ص180.

6 الطبري، جامع البيان في تأويل القرءان، ج9، ص393.

7 الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرءان بالقرءان، د،ط، ج3، ص191.

لَا يُؤْمِنُوْنَ فِيْٓ اٰذَانِهِمْ وَقْرٌ وَّهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًىۗ اُولٰۤىِٕكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍۢ بَعِيْدٍ ﴿٤٤﴾ ﴿سورة فصلت﴾ أي قل يا محمد هذا القرءان لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب.[8] والآيات التي تدل على أن القرءان كتاب هداية، وإرشاد كثيرة.

الشبهة الثالثة:

أن القرءان الكريم ليس بكتاب للعلوم التجريبية كالكيمياء، والفيزياء، والرياضيات، وغيرها.

فيظهر هنا جهلهم بالإعجاز العلمي، ويرد عليهم: إن أردت بهذا القول تعظيم القرءان الكريم، فهذا مطلب عظيم وشريف، لكنكم أخطأتم بهذا القول، فلا يمكن لأحد من الإعجازيين أن يقول إن القرءان الكريم كتاب علم مستقل - علم تجريبي-، كأن يقال القرءان الكريم كتاب فيزيائي، أو كتاب كيميائي أو غير ذلك، وإنما قصدوا بالعلم الحجج الكافية لإقناع البشر على مختلف مستوياتهم.

فقد تكلم القرءان الكريم في وصف الكون وفاض الخبر في القرءان الكريم عن الكون، وفي العصر الحديث، درسوا هذا الكون بالعلم التجريبي الذي بين أيديهم، فالتقى هذا العلم التجريبي البشري مع وصف الآيات القرءانية في ميدان واحد، فما هي النتيجة؟ لقد كانت النتيجة توافق ما توصل إليه العلم التجريبي مع ما أخبرنا به ربنا عزوجل في القرءان الكريم، وقد أخبرنا الله عزوجل في القرءان الكريم قبل ألف وأربعمائة سنة، أن في القرءان الكريم أنباء وأخبار لا يعلم به إلا مع مرور الزمن، قال الله تعالى: لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَّسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ ﴿٦٧﴾ ﴿سورة الأنعام﴾. وقال عز من قائل: وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ سَيُرِيْكُمْ اٰيٰتِهٖ فَتَعْرِفُوْنَهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ ﴿٩٣﴾ ﴿سورة النمل﴾

وقد تحقق أمام أعيننا في هذا الزمن سماع الآيات القرءانية ومشاهدة الحقائق العلمية، فكان لزاما علينا الإيمان بالله عزوجل، وتصديق ما في القرءان الكريم من أخبار، ووجب على من تبين له ذلك، تبيان ما في القرءان الكريم من الدلالات العلمية ليعرف أن من وسائل الهداية والإرشاد الدلالات والاشارات العلمية. كيف لا يكون القرءان الكريم كتاب فيه إشارة إلى جميع العلوم الحقيقية التي عرفت، والتي ستعرف لاحقا! وقد قال تعالى: وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِى الْاَرْضِ وَلَا طٰٓئِرٍ يَّطِيْرُ بِجَنَاحَيْهِ اِلَّآ اُمَمٌ اَمْثَالُكُمْۗ مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتٰبِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ اِلٰى رَبِّهِمْ يُحْشَرُوْنَ ﴿٣٨﴾ ﴿سورة الأنعام﴾

وقد ورد في القرءان الكريم قرابة ألف آية تتحدث عن الله تعالى، لكنا على يقين بأن العلم التجريبي الذي يملك مفاتيح القوة فيه الغرب النصراني واليهودي يوحون إلى أوليائهم من العلمانيين شبهات، ليطعنوا في علمية القرءان الكريم، ولكن هذه الشبهات ترجع عليهم، فنرى علماء منهم يعترفون بأن القرءان قد سبق ما توصلوا إليه، وخير مثال على ذلك عالم التشريح الفرنسي موريس بوكاي، وسنذكر قصته في المباحث اللاحقة.

والقرءان الكريم كتاب هداية، وارشاد، كما أنه كتاب يحوي إشارات علمية دقيقة، يظهر فيها عظمة كلام الله تعالى، ويظهر عجز البشرية إلى قيام الساعة، ولو وصلوا بعلومهم أعلى المراتب، والإعجاز العلمي وسيلو من الوسائل التي تظهر هذا العجز، وما ذلك إلا ليعلوا أنه ليس بكلام بشر، قَالَ تَعَالَى : اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِالذِّكْرِ لَمَّا

8 ابن كثير، تفسير القرءان العظيم، ط-أخرى، ج 12، ص 247.

جَآءَهُمْۖ وَاِنَّهٗ لَكِتٰبٌ عَزِيْزٌۙ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيْهِ الْبَاطِلُ مِنْۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهٖۗ تَنْزِيْلٌ مِّنْ حَكِيْمٍ حَمِيْدٍ ﴿٤٢﴾ ﴿سورة فصلت﴾، وأما ربطه بين الإعجاز والدين، فيظهر محاولته، أن يجعل مصدر الإعجاز العلمي كلام علماء الشريعة، لا كلام الله عزوجل، وأما عقدة النقص التي يدعيها، فهو يعيشها، بسبب الانهزام بزخارف الحضارة الغربية، التي رضع حليبها.

وقولهم: إن القرءان الكريم ثابت، أما العلوم التجريبية متغيرة في نظرياتها، وقواعدها، وقوانينها، فلا يصح تفسير القرءان الكريم بالمعطيات العلمية الحديثة، فيكون العلم التجريبي حجة على القرءان الكريم.

فيرد عليهم: بأنه لابد من التفريق بين الثابت والمتغير، فالقرءان الكريم هو الثابت المطلق، بينما العلوم التجريبية تعد من المتغيرات، ولا يصح جعل المتغير حاكما على الثابت، كما أن القرءان الكريم لا يتعارض بتاتا مع حقائق العلم الصحيح، بل يشير إليها أو يؤكدها، الفرق واضح بين النظريات والحقائق، ولم يكن يوما النظريات حجة أو تفسيرا للقرآن الكريم، كما أن تفسير العلمي شيء والإعجاز العلمي شيء آخر، فمن لم يفرق بينهما وقع في حطأ واضح.

فالتفسير العلمي: كشف عن معاني الآية أو تفاصيلها، أما الإعجاز العلمي: أما الإعجاز العلمي فهو إخبار القرءان الكريم أو السنة النبوية بحقيقة علمية أثبتها العلم أخيرا، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم﴿9﴾، فالتفسير العلمي مقبول إذا كان مبنيا على الأسس العلمية، كما أن الإعجاز العلمي حجة واضحة وظاهرة.

الشبهة الرابعة:

إن معطيات بعض العلوم التجريبية قد تختلف مع عدد من الآيات الثابتة في القرءان الكريم، وذلك أن منطلقات العلوم التجريبية مادية، وتنكر حقائق الغيب الخفية، أو تتجاهلها.

فيرد عليهم: العلاقة القائمة بين القرءان الكريم والعلم الصحيح، علاقة تكامل لا تعارض، فالقرءان الكريم يقدم لنا الحقائق الكلية والمبادئ الأساسية، بينما العلوم التجريبية تسعى إلى فهم تفاصيل هذا الكون وكيفية عمله، كما أن العلوم التجريبية لها حدود معينة لا يمكن لبشر تجاوزه، ولا الإحاطة بكل شيء، وما يصل إليه البشر من العلم فهو من العلم الذي قدره الله تعالى للإنسان أن يعلمه، قال تعالى: ﴿اَللّٰهُ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَۚ اَلْحَيُّ الْقَيُّوْمُ ۚ لَا تَأْخُذُهٗ سِنَةٌ وَّلَا نَوْمٌۗ لَهٗ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِۗ مَنْ ذَا الَّذِيْ يَشْفَعُ عِنْدَهٗٓ اِلَّا بِاِذْنِهٖۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ اَيْدِيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۚ وَلَا يُحِيْطُوْنَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهٖٓ اِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَۚ وَلَا يَـُٔوْدُهٗ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيْمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴿سورة البقرة﴾

"فكون الحق يعلم فإن ذلك لا ينفي أن يكون غيره يعلم أيضا، لكن علم البشر هو بعض علم موهوب من الخالق لعباده... إذا اجتمع البشر مع بعضهم فلن يحيطوا بشيء إلا بإذنه." ﴿10﴾

9 انظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرءان، ط3، م1، ص25

10 الشعراوي، تفسير الشعراوي، د.ط، م2، ص1099-1101.

فالعلوم التجريبية لها حدودها، ولا يمكن لأحد أن يدعي الإحاطة بكل شيء، خاصة في الأمور الغيبية التي لا تخضع للتجربة الحسية، فالخلاصة: أن معطيات العلوم التجريبية قد تتعارض مع آيات القرءان الكريم هو قول خاطئ ومضلل، لأن القرءان الكريم والعلوم التجريبية يكمل كل منهما الآخر، ولا يوجد بينهما تعارض حقيقي.

الشبهة الخامسة:

ظهور الإعجاز العلمي في القرءان الكريم، يرجع إلى عقدة النقص التي يشعر بها المسلمون، نتيجة تخلفهم.

يجاب عليهم: بأن الشبهة التي تربط الإعجاز العلمي في القرءان بعقدة النقص الحاصلة لدى المسلمين لا تستند إلى أدلة موضوعية، بل هي افتراض نفسي يهدف إلى التشكيك في مصداقية الإعجاز العلمي في القرءان الكريم، كما تفتقد هذه الشبهة إلى أمثلة تجريبية أو دراسات علمية تثبت صحة هذا الادعاء، فلإعجاز العلمي يعتمد على مقارنة النصوص القرءانية بالاكتشافات العلمية الحديثة، وهي عملية موضوعية لا تعتمد على الحالة النفسية للمسلمين.

ولا يخفى على مطلع أن المسلمون في العصور الوسطى كانوا روادًا في العلوم، مثل الرياضيات، والفلك، والطب، فعلى سبيل المثال: الخوارزمي وابن سينا ساهموا في تقدم العلوم العالمية وهذا التاريخ العلمي للمسلمين ينفي فكرة أن الإعجاز العلمي ناتج عن شعور بالتخلف، كما أن التعميم لغة غير عادلة، لأنها في الغالب تصدر من حاقد أو جاهل، وإلا فإن الإعجاز العلمي نوقش من قبل علماء وباحثين من خلفيات متنوعة، بما في ذلك غير المسلمين الذين أثار اهتمامهم بتوافق القرءان الكريم مع العلم الحديث، كأمثال الدكتور مويس بوكاي وكيث أل مور وغيرهم، كما أن الإعجاز العلمي ليس ردة فعل للمسلمين في هذا العصر، فقد بدأ علماء مسلمون في العصور المتقدمة بالحديث عن أمثال ابن كثير والطبري وغيرهم، وإنما جاء هذا العصر بتأصيل وتقعيد له، وقد تابع الباحث بعض مؤسسي الإعجاز العلمي بمفهومة الحديث فوجدت أنهم لم يأتوا بجديد في التأصيل والتقعيد وإنما أخذوا من أقوال الأئمة السابقين، فشيخنا عبدالمجيد بن عزيز الزنداني- رحمه الله- عند وضع قواعد الإعجاز العلمي- ويعد هو من أوائل المؤسسين لهيئة الإعجاز العلمي في المملكة العربية السعودية- لم يتفرد بما وضعه من قواعد وإنما استقاء هذه القواعد من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ككتاب در تعارض العقل والنقل.

والذي يظهر أن واضعي هذه الشبهة يحملون حقد تجاه الإسلام؛ فيسعون إلى التشكيك بالإعجاز العلمي من خلال توجيه الانتقاد إلى الحالة النفسية للمسلمين بدلاً من مناقشة الأدلة الموضوعية.

الشبهة السادسة:

عندما اكتشف علماء العلم الحديث الحقائق العلمية، لم يؤمنوا بما في القرءان الكريم.

فيجاب عليهم: الإيمان بالله عزوجل هو قرار يرجع إلى ضمير كل إنسان، والحقائق والحجج مجرد أسباب قد تفيد البعض ولا تنفع مع آخرين، فالله عزوجل أخبرنا عن أناس عرفوا الحق بالحجج ورسخت في أذهانهم صدقه، لكنهم رفضوا قبوله، قال الله تعالى: فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ اٰيٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوْا هٰذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌۚ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوْا بِهَا

وَاسْتَيْقَنَتْهَآ اَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَّعُلُوًّاۗ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِيْنَ ۝١٤ ﴿سورة النمل﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿واستقنتها أنفسهم﴾ أي: "يقينهم في قلوبهم"[11]

كما أن عدم إيمان من عرف الإعجاز العلمي لا يعني بطلان الإعجاز العلمي، فالإعجاز قائم على التوافق بين النصوص والعلم التجريبي ولا علاقة بينه وبين قبوله ممن رأه. وقد ظهر علماء كبار من غير المسلمين تأثروا بالإعجاز العلمي وأسلموا مثل موريس بوكاي، الطبيب الفرنسي، الذي كتب كتابًا بعنوان "القرءان والتوراة والإنجيل والعلم"، مشيرا إلى دقة القرءان الكريم في وصف الحقائق العلمية مقارنة بالكتب السماوية الأخرى. هذا ينفي التعميم بأن جميع العلماء لم يؤمنوا بالقرءان الكريم وسيأتي ذكر بعضهم لاحقاً. كما أن الإيمان بالله وعدمه يرجع إلى عوامل أخرى كالبيئة التي ينشأ فيها الإنسان وغيرها.

الشبهة السابعة:

المسلم ليس بحاجة إلى الإعجاز العلمي كي يكون مسلما صالحا. من الناحية الشرعية فهذا صحيح، لأن الله تعالى لم تعبدنا بالمعجزات، وإنما وكل أمر إلى التسليم لكل وما يأتينا من الله تعالى، قال عزوجل: اٰمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَآ اُنْزِلَ اِلَيْهِ مِنْ رَّبِّهٖ وَالْمُؤْمِنُوْنَۗ كُلٌّ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰۤىِٕكَتِهٖ وَكُتُبِهٖ وَرُسُلِهٖۗ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهٖۗ وَقَالُوْا سَمِعْنَا وَاَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَاِلَيْكَ الْمَصِيْرُ ۝٢٨٥ ﴿سورة البقرة﴾ قال أبو جعفر رحمه الله: "يعني بذلك جل ثناؤه: صدق الرسول ﷺ، فأقر بما أنزل إليه، يعني: بما أوحي إليه من ربه من الكتاب، وما فيه من حلال وحرام، ووعد وعيد، وأمر ونهي، وغير ذلك من سائر ما فيه من المعاني التي حواها."[12]

ودور الإعجاز العلمي دور تعزيز لزيادة الإيمان للمؤمن، ووسيلة جذب لغير المسلم وخاصة في عصر العلم، وقد تبين للدعاة إلى الله أن الإعجاز العلمي وسيلة فعالة في هذا العصر في النقاش والتبين والردود، وبذلك يتبن أن الإعجاز العلمي ليس شرطا للصلاح، بل أداة دعوية وتفسيرية تبرز توافق القرءان الكريم مع العلم، مما يعزز اليقين بالمصدر الإلهي للقرآن العظيم ويرد على الشبهات.

الشبهة الثامنة:

ماذا جنى المسلمون من وجود الإعجاز العلمي؟

هذه الشبهة تحمل في طياتها ظلم كبير لشريحة كبيرة من العلماء، ولوسيلة قوية من الوسائل الحديثة في العلم، ويمكن إجمال الرد في الآتي:

١. لقد أسهم الإعجاز العلمي في القرءان والسنة إسهاما كبيرا في تعزيز إيمان المسلمين، وتقوية الدعوة إلى الإسلام، والرد على الشبهات، وتشجيع البحث العلمي، وتعزيز الهوية الإسلامية على مدار عقود.

٢. كما استفاد المسلمون منذ بداية الاهتمام المنظم بالإعجاز العلمي في الثمانينيات، من خلال إنشاء هيئات مثل الهيئة العالمية للإعجاز العلمي، ونشر أبحاث، وتنظيم مؤتمرات عالمية.

---

11 الطبري، جامع التأويل عن تأويل آي القرءان، ط1، م8، ص23.

12 الطبري، جامع التأويل عن تأويل آي القرءان، ط1، م6، ص124.

٣. ولعل أبرز الفوائد منها: جذب غير المسلمين، مثل العالم موريس بوكاي، وتأكيد صلاحية القرءان لكل زمان ومكان، مما عزز الثقة بدينهم، ودحض الادعاءات التي تشكك بوجود الخالق أو نفي المصداقية عن القرءان الكريم والسنة النبوية.

يمكن القول بعد عرض شبهات الاتجاه العلماني والرد عليها، يتبين أن معظم هذه الشبهات تنطلق من تصور مغلوط لطبيعة الوحي القرءاني، إذ يتعامل العلمانيون مع القرءان الكريم باعتباره كتابا بشريا أو أدبيا محدود الوظيفة، بينما القرءان في حقيقته وحي إلهي معجز، يجمع بين الهداية والإرشاد والتوجيه العقلي والعلمي. وثبت من خلال الردود العلمية أن الإعجاز العلمي في القرءان الكريم ليس ادعا بوجود علوم تجريبية تفصيلية في النص، بل هو إشارة إلى حقائق كونية وعلمية ثابتة تؤكد سبق الوحي الإلهي ودقته، وتدعو إلى التأمل والنظر، فالقرآن الكريم لم يُنزل ليكون بديلا عن العلم، وإنما ليوجه العقل البشري إلى التفكير المنهجي، والتدبر في الكون، واستنباط السنن التي أودعها الله تعالى فيه، كما قال تعالى:

قُلِ انْظُرُوْا مَاذَا فِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۗ وَمَا تُغْنِى الْاٰيٰتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُوْنَ ﴿١٠١﴾ ﴿سورة يونس﴾

فكأنه تعالى نبه على القاعدة الكلية، حتى إن العاقل يتنبه لأقسامها وحينئذ يشرع في تفصيل حكمة كل واحد منها بقدر القوة العقلية والبشرية، ثم إنه تعالى لما أمر بهذا التفكر والتأمل بين بعد ذلك أن هذا التفكر والتدبر في هذه الآيات لا ينفع في حق من حكم الله تعالى عليه في الأزل بالشقاء والضلال، فقال: وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون"﴿13﴾

وبذلك يمكن القول إن الرد على الشبهات العلمانية يقوم على تثبيت المفاهيم الثلاثة الآتية:

١. القرآن كتاب هداية شاملة تشمل توجيه العقل للعلم والبحث والنظر.

٢. الإعجاز العلمي ثابت بالحقائق القطعية، لا بالنظريات المتغيرة.

٣. التكامل بين الدين والعلم في الإسلام حقيقة قرآنية أصيلة، لا تناقض فيها ولا تعارض.

وختاما: نقول بأن شبهات الأعداء والناقدين حول الإعجاز العلمي في القرءان الكريم لن تنتهي، لأنها جزء من التحدي الفكري التاريخي للإسلام .ومع ذلك، فإن هذه الشبهات لا تقلل من قيمة الإعجاز العلمي كدليل على المصدر الإلهي للقرآن الكريم ويظل أداة قوية لتعزيز الإيمان، والدعوة إلى الإسلام، وإبراز صلاحية القرءان لكل زمان ومكان. والله غالب على أمر ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

شبهات الحداثيين والرد عليها

يُعد شبهات الحداثيين امتدادًا للفكر الغربي الذي نشأ بعد عصر التنوير، متأثرا بمناهج النقد الفلسفي والأدبي التي أخضعت القرءان الكريم للقراءة الإنسانية البحتة، وألغت مرجعية الوحي في الفهم والتفسير. وحين ولج هذا الفكر إلى بعض البلاد الإسلامية، حاول أن يُسقط أنصاره أدواته ومناهجه على التفسير القرءاني، فظهر اتجاه جديد يزعم ضرورة تجديد فهم النصوص وفق مقتضيات الواقع المعاصر.

13 الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ط3، ج17، ص306-307.

وهذا الاتجاه لا ينكر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في ظاهره، ولكنه يفرغه من مضمونه الإيماني، لأنه يجعل القرءان الكريم مجرد خطاب لغوي مفتوح أبوابه على التأويل، وليس وحيا منزلا محكم المعنى والمقاصد، ومن ثمّ، اتجه الحداثيون إلى نقد منهج المفسرين والعلماء، واتهامهم بالتكلف في تأويل النصوص لتتوافق مع الحقائق العلمية، كما رأوا أن ربط القرءان الكريم بالعلم يقيّد النص بثقافة العصر ويُفقده صفة البقاء والديمومة.

وقد تفرع عن هذا المنطلق جملة من الشبهات الحداثية التي تدور حول نفي ثبات التفسير القرءاني، والتشكيك في الإعجاز العلمي، واعتبار التفسير العلمي لونا من الإسقاط المعرفي المعاصر، مما استدعى ضرورة الرد عليها برد علمي منهجي يجمع بين التأصيل الشرعي والتحليل العقلي، يبيّن أن الإعجاز العلمي ليس تأويلاً حداثيّا جديدا، بل امتداد لبيان صدق الوحي وإعجازه منذ نزوله.

وقبل ذكر بعض شبهات الحداثيين على الإعجاز العلمي كان لابد من معرفة أبرز منطلقات هذا الفكر الهدام، فهم ينطلقون من رؤية مغايرة ظاهرا، إذ لا يسعون إلى إلغاء الدين في ظاهر الأمر، بل إلى إعادة قراءته وفق مناهج الفكر الغربي الحديث كالنقد الأدبي، ويرون أن القرءان الكريم وإن كان من عند الله تعالى، إلا أن فهمه وتأويله عملية بشرية نسبية تتغير بتغير الزمان والمكان والثقافة، وتتمثل شبهاتهم في التشكيك بثبات التفسير القرءاني، واعتبار النصوص القرءانية مفتوحا على تأويلات متعددة، والطعن في حجية السنة النبوية لتسهيل التأويل بهواهم القبيح، ومحاولة تطويع الآيات القرءانية ليتوافق مع المفاهيم الغربية في الحرية والمساواة وحقوق الإنسان، تحت مسمى ﴿قراءة عصرية للقرءان﴾.[14]

وأهم شبهات الحداثيين:

١. علماء الإعجاز العلمي، يحاولون تأويل الألفاظ القرءانية لتوافق الحقائق العلمية، ويظهر ذلك بتأويلهم العبادات إلى فوائد علمية.
٢. الإشارات العلمية الموجودة في القرءان الكريم كانت موجودة في الكتب السماوية السابقة، وهذا ينازع الأسبقية لها، والإعجاز الذي فيه.
٣. أحد أسباب الإلحاد بين الشباب، هو الإعجاز العلمي. [15]
٤. وجود علماء من المسلمين، أنكروا، أو عارضوا التفسير العلمي، والإعجاز العلمي في القرءان الكريم.

الردود على الشبهات:

الشبهة الأولى:

قولهم: إن علماء الإعجاز العلمي، يحاولون تأويل الألفاظ القرءانية لتوافق الحقائق العلمية، ويظهر ذلك بتأويلهم العبادات إلى فوائد علمية.

14 ينظر: عمار، القراءات الحديثة للنص القرآني ص298-305.

15 ينظر: عطبوش، نقد الإعجاز العلمي، ط2، ص18

هذه الشبهة يتطلب توضيح الفرق بين التأويل الباطل الذي يتناقض مع أصول التفسير، وبين التأويل المقبول لأنه مستنبط بحسب الضوابط الشرعية، وإليك الفرق أخي القارئ: لقد وضع علماء التفسير ضوابط للتفسير العلمي، وقد التزم علماء الإعجاز العلمي بذلك إلا ما ندر منهم، وهذا الضوابط صارمة في تفسير الآيات، منها: إن القرءان الكريم كتاب هداية، هداية الناس إلى بارئهم للقيام بالدور الذي أوكل إليهم في

خلافة الأرض ولأداء المهمة التي خلقوا من أجلها، فينبغي أن تبقى الأبحاث القرءانية المتعلقة بالآيات الكونية في حدود هذا الغرض، ولا تؤثر على الهدف الأساسي للقرآن الكريم. عدم التفريط في البحث في الآيات الكونية، وبشرط التقيد بالمنهج القرءاني وعدم تحميل النصوص ما لا تحتمل، وأن تفاسيرنا ينبغي أن تكون لشرح وبيان الأساليب المستخدمة لتحقيق هذه الهداية. عدم مخالفة السياق اللغوي، فلا يحمل اللفظ ما لا يحتمل. الاقتصار على الحقائق العلمية في صدد تفسير الآيات. يجب التفريق بين الحقيقة العلمية القاطعة والفرضية النظرية، فلا يربط القرءان الكريم بفرضيات. تفسير السلف أساس لفهم النصوص قبل إضافة الدلالات العلمية. فمن التزم بهذا الضوابط فهو بعيد كل البعد عن الشبهة التي قيلت، كما أن التأويل منه المذموم ومنه المحمود، فعلماء الإعجاز العلمي يستخدمون التأويل المحمود والمقبول لدى أهل التفسير،

فالإعجاز العلمي يظهر عندما تكتشف حقيقة علمية قاطعة تتفق مع دلالة الآية القرءانية دون تكلف، مثل وصف مراحل الجنين في سورة المؤمنون: ﴿خَلَقْنَا... عَلَقَةً... مُضْغَةً﴾، والتي تتطابق مع علم الأجنة الحديث. أما التأويل المذموم فهو الذي يُحمِّل الآية معاني لا تتحملها لغة أو سياقاً، كتفسير بعض الظواهر الكونية بردها إلى مصطلحات علمية حديثة بعيدة عن مدلول النص، كما أن القرءان الكريم يتسع لطبقات من الدلالات في اللغة العربية غنية بالإيحاءات، والقرءان الكريم -ككلام الله- يحتمل معاني متعددة تتناسب مع عصور مختلفة، دون أن يُنقض بعضها بعضاً، فما يراه المفسرون اليوم قد يكون من "الوجوه الإعجازية" التي أُخفيت لحكمة، لتظهر مع تقدم العلم، قال تعالى: سَنُرِيْهِمْ اٰيٰتِنَا فِى الْاٰفَاقِ وَفِيْٓ اَنْفُسِهِمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ اَنَّهُ الْحَقُّ ۗ اَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ اَنَّهٗ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌ ﴿٥٣﴾﴿سورة فصلت﴾

ولا يُنكر الإعجاز العلمي جملةً، بل يُنكر التفسيرات المتكلفة التي تُخالف أصول اللغة والشرع. أما حين تقدم القراءة العلمية ضمن الضوابط الشرعية، فهي تجلي من تجليات إعجاز القرءان الكريم، وتُظهر أنه كتاب صالح لكل زمان، يتجدد فهمه مع تطور العقل البشري، دون أن يمس ذلك بأصالة نصوصه.﴿16﴾

الشبهة الثانية:

الإشارات العلمية الموجودة في القرءان الكريم كانت موجودة في الكتب السماوية السابقة، وهذا ينازع الأسبقية لها، والإعجاز الذي فيه. يرد عليهم: لا خلاف عند المسلمين بأن القرءان الكريم والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام كلها من عند الله تعالى، وأن وجود الأسرار الربانية في طيات هذه الكتب أمر صحيح، ولكننا نقول بأن فهم معنى الأسبقية للقرآن الكريم يتطلب فهما عميقا للإعجاز العلمي لإدراك ذلك، فليس كل ما ورد في الكتب السابقة من المعلومات العلمية تسمى إعجاز علمي؛ وذلك لعدة أسباب أهمها:

16 ينظر: مسلم، مباحث في إعجاز القرءان، ط3، ص162-165

- عدم إمكانية التسليم بصحة ما في الكتب السابقة أنها من عند الله تعالى؛ لما طالها من التحريف والتبديل المتعمد من قبل أصحابها قال تعالى: فَوَيْلٌ لِّلَّذِيْنَ يَكْتُبُوْنَ الْكِتٰبَ بِاَيْدِيْهِمْ ثُمَّ يَقُوْلُوْنَ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ لِيَشْتَرُوْا بِهٖ ثَمَنًا قَلِيْلًاۗ فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ اَيْدِيْهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُوْنَ ﴿٧٩﴾ ﴿سورة البقرة﴾

وقال عز وجل: وَاِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيْقًا يَّلْوٗنَ اَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتٰبِ لِتَحْسَبُوْهُ مِنَ الْكِتٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتٰبِۚ وَيَقُوْلُوْنَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِۚ وَيَقُوْلُوْنَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ ﴿٧٨﴾ ﴿سورة آل عمران﴾

وفي الحديث الصحيح: عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما "أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله فرجما قال عبد الله فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة. ﴿17﴾

فهذا الآيات والوقائع تؤكد التحريف الحاصل في الكتب السابقة، والتعمد في ذلك من قبل أصحابها، فلا يمكن الوثوق بما يقال بعد ذلك.

-الأخبار العلمية في الكتب السماوية السابقة طبيعتها لا تقارن بما ورد من أخبار تفصيلية في القرءان الكريم، فالوارد في الكتب السابقة عبارات عامة ومجملة كما أنها غير دقيقة، أما القرءان الكريم يقدم معلومات علمية دقيقة وشاملة، فالإعجاز العلمي في خلق السماوات والأرض، والإعجاز العلمي في الجبال وكونها أوتاد يتطابق مع نظرية الانفجار العظيم والجبال يتطابق مع الاكتشافات الجيولوجية الحديثة.

كما أن الإشارات العلمية في الكتب السابقة تختلف من حيث التأويل فهي تقدم إشارات رمزية تحميل تأويلات متعددة، بخلاف القرءان الكريم فهو يقدم نصوصاً أكثر وضوحا وتحديدا، كما أن القرءان الكريم محفوظ بنصه الأصلي منذ نزوله بخلاف الكتب السابقة فأصحابها يؤكدون أنها بالمعنى. فالخلاصة أن هذا الادعاء باطل إذا ما نوقش أو وضع تحت المقارنة العلمية الصحيحة.

الشبهة الثالثة:

قولهم: أن أحد أسباب الإلحاد بين الشباب، هو الإعجاز العلمي.

يجاب عليهم: بأن هذا الادعاء غير صحيح وغير ثابت، وهذا التعميم غير دقيق وأن الإلحاد بين الشباب يرتبط عادةً بعوامل أخرى، مثل: التأثيرات الثقافية الغربية والتعرض لأفكار مادية أو معادية عبر الإعلام والإنترنت. ضعف الصلة بالله تعالى وضعف التربية الإسلامية، مما يجعل الانسان أكثر عرضة للشكوك. سوء فهم الإعجاز العلمي نتيجة تأويلات غير دقيقة أو مبالغ فيها، وسوء التطبيق لا يعني فشل الفكرة.

17 البخاري، صحيح البخاري ط1/ السلطانية، كتاب الحدود -باب أحكام أهل الذمة، م 8، ص172، رقم (3436)

الشبهة الرابعة:

قولهم: وجود علماء من المسلمين، أنكروا، أو عارضوا التفسير العلمي، والإعجاز العلمي في القرءان الكريم. يجاب عليهم: بأن هذه الشبهة من الاحتجاجات الانتقائية التي يثيرها الحداثيون لتقويض مشروعية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم من داخل التراث الإسلامي نفسه، إذ يُستشهدون ببعض أقوال العلماء الذين انتقدوا التفسير العلمي لا من حيث المبدأ، ولكن من حيث الغلو والتكلف في التطبيق، فالحداثيون يخلطون بين النقد المنهجي الذي قصده العلماء القدامى، وبين الرفض للتفسير القرءان الكريم الذي يتبنونه هم، ثم إنّ جمهور المفسرين والعلماء، قديما وحديثا، كالإمام الشاطبي رحمه الله وغيره، لم ينكروا التفسير العلمي إنكارا مطلقا، وإنما حذروا من التسرع في ربط الآيات بالنظريات الظنية المتقلبة.

فموقف العلماء كان ضبطا للمنهج لا إنكارا للأصل، ولذلك نجد أن في القرءان الكريم دعوة إلى النظر في الآفاق والأنفس، وهي الأساس الذي يقوم عليه الإعجاز العلمي، وقد فصلنا ذلك في الفصل الأول.

وأما الحداثيون فحاولوا استثمار بعض التحفظات العلمية القديمة، كتحفظ الشيخ محمود شلتوت -رحمه الله- أو العالم رشيد رضا -رحمه الله تعالى- على بعض صور التفسير العلمي المتكلف ليجعلوها إنكارًا شاملاً للإعجاز العلمي، وهذا في الحقيقة تزوير وتحريف لمقاصد العلماء -رحمهم الله تعالى-، لأن هؤلاء الأئمة لم ينكروا أن في القرءان إشارات علمية، وإنما أنكروا التكلف في ربط النصوص القرءانية بالنظريات غير القطعية، ثمّ إن وجود من حذر من الإفراط لا يعني بطلان الإعجاز العلمي، كما أن نقد الوسائل لا يلغي مشروعية الأصل لم يعي ذلك، والمنهج الصحيح التوسط بين الإفراط والتفريط: فيثبت الإعجاز العلمي في ضوء الحقائق القطعية الثابتة، دون تحميل النصوص ما لا تحتمل، كما أوصى بذلك مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، ومؤتمرات الإعجاز العلمي في مكة والكويت وغيرها من المؤتمرات، وقد ذكرنا ذلك في موضعه.

والخلاصة:

وقد تبين بعد الردود على بعض شبهاتهم، أن هذه الشبهات مبنية على مغالطة في الفهم والاستدلال،

ومبنية في جوهرها على تأويل فلسفي لا علمي، لأنهم ينظرون إلى الإعجاز العلمي في القرءان الكريم بنوع من القراءة التراثية المغلقة التي تربط النصوص القرءانية بحقائق علمية محددة، فيقيدون بذلك حرية التأويل وتجدد المعنى، ويمكن الرد على منطق الحداثيين: بأنّ الإعجاز العلمي لا يغير النص ولا يفرض عليه معنى جديدا، بل يكشف عن حقائق صدقها العلم الحديث بعد نزول القرءان الكريم بقرون، وهو شاهد على صدق القرءان الكريم، لا على تطور التأويل الإنساني- كما يزعمون.

CONSLUSION ﴿الخاتمة﴾

بعد تحليل شبهات الاتجاهين العلماني والحداثي حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، والرد عليها ردًا علميًا ومنهجيًا، خلصت هذه الدراسة إلى أن معظم تلك الشبهات تنطلق من منطلقات فلسفية وفكرية مسبقة، لا من قراءة تفسيرية منضبطة للنص القرآني. وقد أظهرت النتائج أن الاتجاه العلماني يتعامل مع القرآن الكريم بوصفه نصًا روحانيًا أو أدبيًا معزولًا عن الواقع العلمي، في حين يسعى الاتجاه الحداثي

إلى إخضاعه لمناهج التأويل الإنساني النسبي بما يؤدي إلى تفريغه من مرجعيته الإلهية. كما أثبتت الدراسة أن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لا يعني تحويله إلى كتاب علوم تجريبية، وإنما يهدف إلى إبراز إشارات كونية وحقائق علمية قطعية سبقت الاكتشاف البشري، بما يدل على مصدره الإلهي ويؤكد التكامل بين الوحي والعقل، والدين والعلم، وأن تحذير العلماء المتقدمين من التفسير المتكلف كان ضبطًا للمنهج لا إنكارًا لأصل الإعجاز.

وتتمثل مساهمة هذا البحث في تقديم معالجة منهجية نقدية للشبهات المعاصرة حول الإعجاز العلمي، مع التأكيد على ضوابط التفسير وأصول البحث العلمي، بما يسهم في ترشيد الخطاب العلمي والدعوي المتعلق بالقرآن الكريم. ومع ذلك، لا تخلو الدراسة من بعض المحدوديات، إذ اقتصرت على تحليل نماذج محددة من الشبهات والمصادر الفكرية دون التوسع في تتبع جميع الاتجاهات أو التطبيقات المعاصرة للإعجاز العلمي في مختلف العلوم الطبيعية.

وانطلاقًا من ذلك، توصي الدراسة بضرورة إنجاز أبحاث لاحقة تتناول الإعجاز العلمي من خلال دراسات تطبيقية مقارنة بين التفسير الكلاسيكي والمعاصر، أو تحليل نماذج محددة من القضايا العلمية الحديثة في ضوء الضوابط التفسيرية، إضافة إلى توسيع دائرة البحث لتشمل الأبعاد الدعوية والتربوية للإعجاز العلمي وأثره في تعزيز الإيمان وبناء الوعي العلمي الرشيد لدى المسلمين

BIBLIOGRAPHY

ʿAmmār. Al-Qirāʾāt al-Ḥadīthah li-l-Naṣṣ al-Qurʾānī. Cairo.

ʿAṭbūsh. Naqd al-Iʿjāz al-ʿIlmī. 2nd ed. Cairo.

Al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʿīl. Ṣaḥīḥ al-Bukhārī. Cairo: al-Maṭbaʿah al-Sulṭāniyyah.

Al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad. Al-Jāmiʿ li-Aḥkām al-Qurʾān. Vol. 1. Cairo.

Al-Rāzī, Fakhr al-Dīn. Mafātīḥ al-Ghayb)al-Tafsīr al-Kabīr(. Vol. 17. 3rd ed. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Al-Shaʿrāwī, Muḥammad Mutawallī. Tafsīr al-Shaʿrāwī. Vol. 2. Cairo: Akhbār al-Yawm.

Al-Shanqīṭī, Muḥammad al-Amīn. Aḍwāʾ al-Bayān fī Īḍāḥ al-Qurʾān bi-l-Qurʾān. Vol. 3. Mecca.

Al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. Jāmiʿ al-Bayān ʿan Taʾwīl Āy al-Qurʾān. Vols. 6, 8, 9. 1st ed. Cairo: Dār al-Maʿārif.

Al-Zarqānī, Muḥammad ʿAbd al-ʿAẓīm. Manāhil al-ʿIrfān fī ʿUlūm al-Qurʾān. Vol. 1. 3rd ed. Cairo: Dār al-Ḥadīth.

Ibn ʿAbbās, ʿAbd Allāh. Tanwīr al-Miqbās min Tafsīr Ibn ʿAbbās. Vol. 1. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Ibn Kathīr, Ismāʿīl ibn ʿUmar. Tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm. Vols. 1, 7, 10, 12. Beirut: Dār al-Maʿrifah.

Muslim, Muḥammad. Mabāḥith fī Iʿjāz al-Qurʾān. 3rd ed. Cairo: Dār al-Fikr al-ʿArabī.